

ملاحظة افتتاحية

ليس القصد من هذه المحاضرات أن تكون بحثًا مرتبًا في ماهية حكومة الولايات المتحدة وخصائصها، وإنما قصد منها فقط أن تبين هذه الحكومة في بعض صورها الأكبر أهمية وبروزًا من وجهة جديدة، وفي نور تحليل جديد لماهية الحكومات الدستورية وإجراءاتها؛ ولهذا السبب فإنني آمل أن يظن فيها أنها مفيدة في إيضاح آرائنا في السياسة وممارستها.

وودرو ولسن

كلمة للمترجم

كُنُّبنا في علم السياسة - ولا سيما الخاصة بوصف الحكومات الأجنبية - قليلة جداً، إن لم تكن عديمة الوجود، وقد قرأتُ هذا الكتاب للدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة سابقاً فاعتقدت أن تعريبه قد يكون مفيداً، وقد أذن لي المؤلف العظيم بترجمة كتابه هذا، وتفضلت أيضاً مطبعة جامعة كولومبيا الحاصلة على حقوق طبع الكتاب وترجمته بالسماح لي بنقله إلى اللغة العربية، واجتهدتُ بقدر ما في وسعي أن أضعه في عبارة واضحة بسيطة بدون الإخلال بالأصل.

وبساطة تركيب الكتاب وخلوّه من الاصطلاحات السياسية العويصة قد يجعله مناسباً لإقبال القارئ العام على مطالعته وليس فقط أولئك الذين يهمهم هذا الموضوع.

وقد وجدتُ بعض الصعوبة في تعريب بعض الاصطلاحات السياسية ونحت العبارات العربية المقابلة لها فمثلاً، عرّبت "Federal Government" بالحكومة الاتحادية، و"Nominaing Conventions" بالمؤتمرات الترشيحية، وغيرها من الاصطلاحات التي تظهر غريبة للقارئ عند سماعه لها لأول مرة، ولكن عند تعوده على قراءتها لا يعاملها بذلك النفور الذي قد تقابل به أولاً.

والسبب في ذلك أن كثيرًا من الاصطلاحات السياسية حديثة العهد لم يذكرها العرب في كتبهم؛ وذلك لعدم وجود مثل تلك الأنظمة في زمن نهضتهم، ومع ذلك اجتهدت بقدر ما في استطاعتي أن أتبع الذين سبقوني في الكتابة عن المعاهد السياسية في استعمال الكلمات العربية التي ترجموا بها أسماء تلك المعاهد، فعرّبت "The House of Representatives" بمجلس النواب، و"The Senate" بمجلس الشيوخ... إلخ، وأحيانًا أبقيت الاصطلاح الإنكليزي على أصله مثل "The Congress" «الكونغرس».

وقد اضطررتُ في بعض الأحيان أن أحذف بعض الجمل التي ما هي في الحقيقة إلا تكرارًا لما قيل أكثر من مرة.

ويوجد في آخر هذا الكتاب بضع صفحات تحت عنوان: «بعض الحقائق عن حكومة الولايات المتحدة»، رأيت من الضروري أن أرفقها بالكتاب تكملة له، ولما كنت قد جمعتها بنفسي فإنني أعدُّ نفسي المسؤول الوحيد عن كل خطأ يوجد فيها، كما أنني مسؤول أيضًا عن كل الحواشي والتعليقات التي وضعتها في أسفل الصفحات.

وديع الضبع

وودرو ولسن

وودرو ولسن هو الرئيس الثامن والعشرون من رؤساء جمهورية الولايات المتحدة، ولد في بلدة ستونتن بولاية فرجينيا في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٥٦م، وكان أبوه قسًا فيها، وهو من أصل أيرلندي وتزوج والده بابنة قس أسكتلندي الأصل اسمها جسي وودرو. والتحق وودرو ولسن بجامعة برنستن سنة ١٨٧٥م وتخرج منها سنة ١٨٧٩م، ولم يظهر نجاحًا كبيرًا في تلك الجامعة؛ إذ كان ترتيبه في فرقة عند انتهائه الثامن والثلاثين من ١٠٦، وكانت علاماته حسنة في الآداب والعلوم السياسية ولكن لم يبد ذكاء عظيمًا في العلوم الطبيعية، كان يخطب ويناقش أحيانًا في جمعيات الجامعة بدون تفوق عظيم.

ودرس القانون في جامعة فرجينيا من سنة ١٨٧٩ - ١٨٨٠م، ثم مارس المحاماة في أتلانتا من سنة ١٨٨٢م إلى ١٨٨٣م، ولكن لم ترق هذه المهنة في نظره ولم يصادف نجاحًا كبيرًا فيها، وقد صرح مرة أن المحاماة قد تحولت من مهنة إلى تجارة.

التحق بجامعة هوبكنز وكتب رسالة موضوعها «الحكومة الكونغرسية» "Congressional Government"، فمنحته تلك الجامعة في سنة ١٨٨٦م درجة دكتور في الفلسفة. وعُيّن أستاذًا للتاريخ والاقتصاد السياسي في بيرن ماور من ١٨٨٥ - ١٨٨٨م ثم في جامعة وسليان من ١٨٨٨ - ١٨٩٠م، وانتقل إلى جامعة برنستن وعيّنته أستاذًا

للقانون والاقتصاد السياسي من ١٨٩٠ - ١٨٩٥م، فأستاذًا للقانون من ١٨٩٥ - ١٨٩٧م، فأستاذًا للقانون والعلوم السياسية، وانتخبته تلك الجامعة رئيسًا لها في سنة ١٩٠٢م، وكان أول شخص عالمي عُيِّن في ذلك المنصب. وقد أُلِّف أثناء وجوده في منصب التدريس مؤلفات كثيرة معدودة، أشهرها:

«الدولة»، طُبِع سنة ١٨٨٩م.

«الولاية وحكومة الولايات المتحدة الاتحادية»، طُبِع سنة ١٨٩١م.

«الانقسام والاتحاد» وهو تاريخ للولايات المتحدة من ١٨٢٩ - ١٨٨٩م، طُبِع سنة ١٨٩٣م.

«جورج واشنطن»، طُبِع سنة ١٨٩٦م.

«تاريخ الأمة الأمريكية»، طُبِع سنة ١٩٠٢م.

«الحكومة الدستورية في الولايات المتحدة»، ظهرت أول طبعة سنة ١٩٠٨م.

«الحرية الجديدة»، طُبِع سنة ١٩١٣م.

وله غير تلك الكتب كتب أخرى تحوي مقالات شتى عن مواضيع مختلفة.

بقي رئيسًا لجامعة برنستن إلى سنة ١٩١٠م، ثم استعفى وانتخب في ذلك العام حاكمًا "Governor" لولاية نيو جيرسي، ورشحه الحزب الديمقراطي في سنة ١٩١٢م لرئاسة الجمهورية، ففاز على المستر تافت والمستر روزفلت. وأعيد انتخابه لمنصب الرئاسة في سنة ١٩١٦م. ويمكن اعتبار السنوات الثمانية التي كان المستر ولسن متقلدًا فيها رئاسة جمهورية الولايات المتحدة أهم السنين التي مرّت بتاريخ البشر، فقد طفحت تلك المدة القصيرة بالحوادث الجسيمة والثورات والتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سيكون لها أعظم شأن في المستقبل.

ولما شبت الحرب الكبرى في أغسطس سنة ١٩١٤م، لزم المستر ولسن الحياد التام، ولكن اضطر في شهر أبريل سنة ١٩١٧م إلى إعلان الحرب على ألمانيا لاسترسالها في إغراق السفن التجارية وبواخر الركاب بدون إنذار، وسيذكر التاريخ خطبته التي ألقاها في ٨ يناير سنة ١٩١٨م كعلمٍ يُهتدي به؛ لإحلال السلام والإخاء بين الأمم المتحاربة، وإدخال الصفاء والمحبة في القلوب المتعادية.

وكان من نصيب المستر ولسن أن يلعب أعظم دور في وضع معاهدة الصلح؛ ففي أواخر سنة ١٩١٨م برح بلاده قاصداً أوروبا وكله آمال وأمان ببناء عالم جديد على أنقاض ذلك العالم الذي دمرته الحرب الكبرى وزعزعت أركانه، وكانت رحلته التاريخية هذه أول مرة يبرح فيها رئيس للولايات المتحدة بلاده في مدة رئاسته، وهاك ما قاله الدكتور ديكن في كتابه «مؤتمر الصلح» في وصف حالة أوروبا النفسية ونفوذ الرئيس ولسن الهائل عند قدومه إليها:

«وكانت أوروبا عندما وضع الرئيس ولسن أقدامه على شواطئها كالطين في يد الخزاف؛ ليصيغه كما يتراءى لعقله المبدع، ولم يمر على الأرض من مثل ذلك الزمن، كانت الأمم فيه تواقّة إلى أتباع نبي يقودها إلى أرض الموعد، تلك الأرض التي طالما انتظرتها حيث لا حروب فيها ولا منازعات، فرأت فيه ذلك القائد العظيم والمرشد القوي».

ورجع إلى بلاده منهوك القوى بعد أن اشترك في وضع معاهدة فرساي، وأمطره العالم بسببها وابلًا من الانتقادات المرة والسخرية الشائنة، ورفضت الولايات المتحدة المصادقة على تلك المعاهدة. ويقول كثير من الكتاب: إن من أعظم أسباب فشله في مؤتمر الصلح وسقوطه في أعين العالم - وعلى الأخص في أعين شعبه - أنه بنى حوله سورًا من الانفراد والعزلة، فقلّ احتكاكه بالرأي العام ومعرفته لاتجاهه، ولم يهتم باستشارة الساسة الأمريكيين المعروفين بخبرتهم السياسية ومعرفتهم بالرجال وأمور العالم.

وأصيب في صيف سنة ١٩١٩م بنوع من الفالج أقعده عن الخطابة وحرمه من الدفاع عن موقفه في مؤتمر الصلح، واستمرت صحته في انحطاط إلى أن ازدادت وطأة المرض عليه في شهر يناير سنة ١٩٢٤م، وأخبره الدكتور كاري - طبيبه الخاص - بقرب نهايته، فأجابه بما عهد فيه من الشجاعة: «إنني مستعد؛ قد صرت الآن آلة معطلة ومتى تعطلت الآلة - وهنا خانته صوته برهة قصيرة ثم همس - إنني مستعد»، وكانت هذه آخر عبارة كاملة فاه بها.

وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة ١٥ من صباح يوم الأحد ٣ فبراير سنة ١٩٢٤م، فاضت روحه دون ألم بعد غيبوبة دامت ٣٦ ساعة، وهكذا انقضت حياة تحوي كل عناصر مأساة محزنة.

وكان لخبر وفاته رنة حزن وعطف في جميع ممالك العالم، وأبّنه خصومه ومناصروه على السواء، فشهدوا له بمقدرته العظيمة وأخلاقه العالية ونزاهته واستقلاله في الرأي، وتضلعه في العلوم السياسية والتاريخ.

ولا نزاع في أنه لا يوجد معاصر وصل إلى ما وصل إليه وودرو ولسن من احترام العالم له، وحبه لشخصه، والتأمين على خطبه ومبادئه، كما أنه لا يوجد شخص حل به ذلك الفشل الذي يكاد يكون فريداً في التاريخ.

ومع ذلك فسيخلد اسمه في بطون التاريخ على مدى الأدهار بالمجد والفخار، بالرغم من سقوطه الهائل للدور العظيم الذي لعبه في خلق جمعية الأمم، ولو أنها الآن ضعيفة قليلة النفوذ. نعم إن العالم بطيء جداً في تقدمه ولكن سيبقى رؤياه في اتحاد الأمم في نظام وثيق خالدة أبد الدهر، وستنظر الأجيال القادمة إلى ولادة جمعية الأمم فتذكر اسم وودرو ولسن بكل احترام وشكر واعتراف بالجميل.